

## سلسلة التفسير

### سورة القيامة (3)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

نحن في تفسير سورة القيامة.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ \* وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ \* أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ \* بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ \* بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ \* يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ \* فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ \* وَخَسَفَ الْقَمَرُ \* وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ \* يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ \* كَلَّا لَا وَزَرَ \* إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ \* يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿﴾ ، [القيامة: 1-13].

سبق أيها الإخوة أن معنى قول الله تعالى ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ هذه ال (لا) لتأكيد القسم كقولك ليس لك علي يمين أو لا أريد أن أحلف كيت وكيت وتريد أن تثبت كلامك فهذه ال (لا) لتأكيد القسم فأقسم قسماً مؤكداً بيوم القيامة، وأقسم قسماً مؤكداً بالنفس اللوامة.

وسبق في الدرس الماضي أن الله لا يقسم بشيء إلا ذو قيمة فأقسم ربنا جل جلاله بيوم القيامة، ويوم القيامة عظيم وأقسم ربنا بالنفس اللوامة.

والنفوس ثلاثة:

**أ- فنفس أمارة بالسوء:** وهذه هي نفس المرء إذا لم يتربى في مدرسة القرآن، ومدرسة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومدرسة شرائع الإسلام فتبقى نفسه أمارة بالسوء تأخذه نحو الشهوات حيناً ونحو الشبهات حيناً آخر لكن إذا أدب نفسه وربّاه ترقى من نفس أمارة بالسوء إلى نفس لوامة.

**ب- النفس اللوامة:** أقسم الله تعالى بها في القرآن الكريم، ومطلوب منا أيها الإخوة والأخوات أن يجتهد أحدها ليرقى بنفسه حتى ترتفع من نفس أمارة بالسوء إلى نفس لوامة لأنك يوم القيامة أول ما سُئِلَ، سُئِلَ عن نفسك.

البلد الآن في أزمة أول سؤال سيسألك إياه رب العالمين يوم القيامة أنت ماذا عملت وماذا قلت وإلى من انصرفت أنت مع من ملّت فلذلك مطلوب إليك أولاً أن ترعى وترقى نفسك لترفعها من نفس أمارة بالسوء إلى نفس لوامة.

وسبق في الدرس الماضي أن النفس اللوامة: هي النفس التي تلوم على الخير إذا قصر به المرء وتلوم على الشر إذا اقتحمه المرء.

يعني لو أن إنساناً اقتحم في شر فنفسه اللوامة إذا كانت مرباة تلومه لماذا دخلت في هذا الشر، ولو أنه قصر في الخير وسبقه غيره في الخيرات تلومه. أما إذا كانت أمارة بالسوء فلا يشغلها فعل الخير.

يعني بهذه الأزمة هناك أناس مجرمون وهناك أناس خيرون أصحاب النفس الأمارة بالسوء لا يهتمهم أفعَلُوا خيراً أو فعلُوا شراً، وبالعكس ربما يستفيدون من هذه الأزمة، ويقولون: هي فرصة. كيف تتحول نفسي ونفسك من نفس أمارة بالسوء إلى نفس لوامة مطلوب خمسة أمور: المشاركة، ثم المجاهدة، ثم المراقبة، ثم المحاسبة، ثم المعاقبة.

**والذي يعينكم على هذه الخمسة أربعة أمور:**

- 1- **المعلم:** أن يكون لك مربّي، ومعلم، أن يكون لك من يرشدك إلى طريق الخير. يا أيها الإخوة كلنا يشاهد أناساً من المسلمين يتصرفون تصرفات تعجب منها وتقول: هل هذا مسلم أم من غير دين؟ فمن شدة استنكارك لهذا الفعل تقول: هل يعقل أن يكون مسلماً؟! رجل عنده شقة سكنية يؤجرها بخمس عشرة ألف ليرة وفي هذه الأزمة صار يطلب خمس وأربعون ألف ليرة.

طيب يا أخي أنت على ماذا اعتمدت أن تطلب خمس وأربعون ألف، فتقول لنفسك: هل يعقل أن يكون هؤلاء مسلمون؟!!

سيدنا موسى عليه السلام لما ذهب ليتعلم عند الخضر ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ \* قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿﴾ ، [66-67] فهذا العلم ليس مجرد درس تحضره في المسجد، وتحت التكييف، والجلسة مريحة لمدة نصف ساعة أو ساعة، ثم تذهب للبيت، فهذا الأمر يحتاج إلى صبر، فقال الخضر: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿﴾ ، ترى الطريق صعب، ترى الالتزام صعب، ترى الضغط على نفسك الأمانة بالسوء صعب، أن تجاهد نفسك وتحاسبها صعب، النفس لا تحب كل هذه الأمور وتحب أن تأكل متى شاءت، وتشرب متى شاءت، وتتكلم متى شاءت، وتنام متى شاءت، وتحاصم متى شاءت، وتصاحب متى شاءت، لكن هذا الطريق يحتاج ضغط على هذه النفس فتحتاج إلى معلم، والصبر على العلم وتطبيقه.

2- **الصاحب:** كلمة السر في كل خطب الجمعة التي سمعتموها والتي ستسمعونها، في كل الدروس التي حضرتموها والتي ستحضرونها، الصاحب، وقد قمت بسلسلة من الدروس في مكارم الأخلاق فقد كنت في كل آخر خلق أجعل بحثاً، إذا كان الخلق إيجابياً كيف تتخلق بهذا الخلق، وإذا كان خلقاً سيئاً كيف تتخلي عن هذا الخلق، فهناك نقطة مشتركة في كل هذه الأخلاق أهم نقطة من هذه النقاط الصاحب.

تريد أن تكون صادقاً فقط اصحب الصادقين، تكون قد قطعت أكثر من خمسين بالمائة من الطريق، تريد أن تكون وفياً صاحب الأوفياء، تريد أن تكون أديباً باللسان صاحب اللسان الأديب، وبالعكس إنسان مصاحب أناس عيونهم تمتلئ بالحرام فبلا ريب عينك ستصير من هذا النوع ، إنسان مصاحب أناس لسانهم يتكلم الكلام الفاحشة فيقينا بلا ريب ستتكلم مثلهم ولو كنت أستاذ جامعات الدنيا؛ لذلك تجد الناس الكبار لا يقبلون مجالسة أي شخص يطلب مجالستهم ولا يسمرون مع من شاؤوا ومن اشتهاوا فجلسة السمر عندهم يجب أن تكون مع أناس منتقين، أما الأناس الصغار فلا مشكلة عندهم.

لذلك كان بعض الصالحين يرى تلميذاً من تلامذته يجالس مجموعة من الناس مهما كانوا، فمرة شاهده فأتى التلميذ ليسلم عليه، فعبس به ونظر إليه نظرة عبوس شديدة، وقال له: صرت مَنَاحَ البَطَّالين؟ وانصرف الشيخ.

فإذا كنت تتربى وتتعلم فعليك الصبر على هذه التربية.

المريض لا يصحو حتى يشرب الدواء المر، فإذا ظل المعلم يمدحك، ويضحك بوجهك، تظل بمكانك؛ لذلك بعض المربين قال:

اصبر على مر الجفا من معلمك  
إن كان للناس في الآجال تأخير  
اسألوا الكبار فينا كم صبروا، ويقولون: جزى الله عنا آباءنا خير الجزاء، عندما كنا صغاراً  
يقسون علينا في التربية فخرج منا خير.  
حدثني أحد الإخوة أن والده كان لا يرضى أن يخرج ابن من أبنائه بعد المغرب من البيت  
إلا بصحبة الأب أو بإذنه.  
الآن يأتي من يدعي التربية الحديثة ويقولون: لقد تعقد الجيل، فانظر إلى ما صرنا عليه من  
فعل أشياء تندى لها الجبين.

العقوبة ليست مقصداً ولكنها جزء من العملية التربوية، المحاسبة جزء من المعاملة.

3- **كثرة ذكر الله تعالى:** لأن رب العالمين هو مصدر الكلام جل جلاله فأنت إذا  
أكثر من مجالسة رب العالمين تدعوك هذه المجالسة إلى الاقتراب من الكمال والبحث عنه، فتصير  
لا سمح الله إذا نظر نظرة محرمة فيمكن لقلبه أن يظلم طول النهار، وإذا تكلم كلمة فاحشة يبقى  
قلبه مظلماً طيلة النهار، إذا خرج من البيت مغضباً من والديه وأغلق الباب إغلاقاً شديداً، ربما  
يبقى أسبوعاً معكراً.

قال لي أحد الإخوة: إذا خرجت من البيت ولم أقبل يد والدتي، أشعر طيلة النهار أن نهارى  
غير معتدل، فمرة خرجت من غير أن أقبل يدها فرآني أحد أصدقائي فسألني عن سبب انزعاجي،  
فقلت له: أني لم أقبل يد أمي، فقال: وهل تقبل يد أمك وأنت طيب؟! فقلت: وهل أنت لا تقبل  
يد أمك؟!!

هذا الإنسان الذي خرج من البيت دون تقبيل يد أمه شعر بقلبه شيئاً.

فالإكثار من ذكر الله تعالى يجعلك تشعر إذا أخطأت، وتقرب نفسك من النفس اللوامة  
والكمال.

4- **كثرة الدعاء:** كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو: ((اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا،  
وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا))، [مسلم] لأن هذه النفوس و ((...الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ  
اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ))، [الترمذي].

**ت-** النوع الثالث من النفوس **الْمُطْمَئِنَّةُ**: التي قال الله عنها في آخر سورة الفجر

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ ، [الفجر: 27-28] يا هنيئاً لك إذا رجعت إلى ربك ونفسك مطمئنة وراضية ومرضية.

لعلكم سمعتم عن سيدنا عمر بن عبد العزيز لقد توفاه الله تعالى وله من العمر تسع وثلاثين سنة فلما نزلت به سكرات الموت اجتمع أهله حوله فلما اشتدت عليه السكرات قال لأهله: أجلسوني، وصار يقول: أنا الذي أمرتني فقصرت وأنا الذي نهيتهني فعملت غير أنه لا إله إلا الله، ثم قال لمن حوله: اخرجوا عني فإني أرى خلقاً ليسوا بإنس ولا جن (هم الملائكة) ثم سمعوه يقرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ، [القصص: 83]، ثم طفىء.

ليتنا نموت هكذا سيدنا صلاح الدين الأيوبي قالوا عنه: لما حضرته سكرات الموت سمعوه يقرأ آخر ما تكلم به قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ ، [التوبة: 129] ثم طفىء. أحد الصالحين: كان من قراء القرآن الكريم وأحد تلامذته جالس قال له: أجلسني، قال: فأسندته إلى صدري فجعل يقول الله .. الله .. الله فلا زال يكررها حتى طفىء. وأخبرت عن شاب وهو يحتضر فصار من حوله يقولون: لا إله إلا الله وكان يحب الأغاني فصار يردد أغنية ثم مات وهو يغني.

فلا يستوي هؤلاء وهؤلاء هذه اللحظة ليست هي المعيار لكن هذه دليل سيرة الحياة، أنت ترى في نومك ما عاينته في نهارك، فعند الامتحان مثلاً ترى أسئلة الامتحان، وقاعة الامتحان في المنام، ما تراه في نومك هو ما عاينته في نهارك، ما تراه في آخر لحظة في حياتك هو ما عاينته في دنياك وحياتك.

يا هنيئاً لك إذا وصلت إلى نفس مطمئنة ترجع إلى ربها مطمئنة ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ .

الله عز وجل سيرضيها رضاء كبيراً فترضى عن الله عز وجل فكما رضيت عنه في الدنيا سترضى عنه في الآخرة، ومرضية: أي أن رب العالمين رضي عنها ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ ، [الفجر: 29-30].

لكن يا شباب ويا رجال ويا أيتها الأخوات حتى نصل إلى هذه الكلمات عند الموت يجب أن يكون لديك المعلم، والصاحب، والذكر، والدعاء.

وتحتاج الخمسة المشاركة، والمحاسبة، والمراقبة، والمعاقبة، والمجاهدة تتعب في حياتك بهذه الخمسة فتتال هذه الرتبة وتصير نفسك نفساً يقسم الله تعالى بها في القرآن الكريم.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ يظن المرء بأنه إذا مات انتهى الأمر.

تذكرون بأن واحد من المشركين جاء إلى رسول الله بقطعة عظم قد صارت رميمًا فجعل يفتها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا محمد أتى يحيي الله هذه بعد موتها والله ذكره في

سورة يس ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ، {يس:78} هؤلاء

الظالمون الذين يعيشون في البلد فساداً تظنون أن الأمور ستنتهي.

في الرسائل العلمية يطلبون من الطالب أن يكتب في الخاتمة نتائج البحث والتوصيات، الآن رب العالمين ختم سورة الشعراء -وهي التي تحوي على قصص مجموعة أنبياء- بخمس كلمات هي ختام أعمال، ومخططات، وبرامج، ودراسات الأنبياء، وهي خاتمة سورة في القرآن الكريم، وهو كلام

الله عز وجل: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ ، [الشعراء:227]. هذه الكلمات

قولوها لمن ترونه يظلم الناس واجعلوها سبب لتطمئن قلوبكم، لأن من يظلم ويفجر في الناس يستحيل أن ينجو.

يوجد قراءة (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) أحياناً يقول لك الظالم بهذه الطريقة أحقق ما أريد وليرضى من رضي وليسخط من سخط.

قال المفسرون: (أخفى الله المنقلب في هذه الآية) ما هو منقلب الظالم؟ الله لم يخبرنا لأن مفردات اللغة لا تتسع لعقوبة الظالم فلو قلنا للناس هناك إنسان ظالم فما رأيكم أن نفعل به فبعضنا

يقول: السجن، أو القتل، أو النفي، فكل هذه الكلمات تتسعها اللغة لكن الله قال: ﴿وَسَيَعْلَمُ

الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ .

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ إذا استطاع في الدنيا بطريقة ما أن ينجو فهل الأمر

سينتهي فقال الله: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ البنان: هي أطراف الأصابع، سنعيد جمع

عظام الإنسان حتى نعيد جمع أطافر أصابعه، إذا كان إنسان هارباً من الشرطة فقال له رئيس المخفر: اذهب أينما شئت فإنك ستعود إلي، أي في الحساب والسؤال، والعقاب، والمحاسبة سنعيده ونجمعه ونسوي بنانه.

قال بعض المفسرين: (البنان هو الإصبع أو طرفه) فهذا ليس العظم بل العظم، واللحم، والظفر، والجلد، والأعصاب، والأوردة، والشرابين، من جملة الجلد إن لكل واحد من بيننا بصمة مختلفة والله قال: ﴿نُسَوِّي بَنَانَهُ﴾ أي سترجع حتى هذه البصمة.

الآن الرسام ربما يستطيع أن يرسم شكلي أما لو لم يكن جالساً أمامي فيستطيع أن يرسمني بالصورة، لكن الرسام يستحيل أن يرسم بصمتي وأنا غائب عنه، ربما يكون هناك رسام إذا أعطيناه صورة البصمة أن يرسمها، لكن إذا غابت عنه فيستحيل أن يرسمها من ذاكرته، الله عز وجل سيعيد الإنسان إلى ما كان عليه حتى أنه سيسوي له بنانه.

هذا يا إخواننا من أجل كل واحد بيننا أن يراجع نفسه ماذا فعل؟ ماذا قال؟ ماذا اعتقد؟ أنت يا أيتها الأخت ماذا فعلت؟ ماذا قلت؟ ماذا اعتقدت؟ هذا على مستوى الأفراد والأسر والمجتمع ربما يكون إنسان فينا محافظ على حضور الدروس، ومحافظ على الصلاة، حسن الخلق مع الناس لكن في بيته إنسان غير جيد فلو سألنا أهل بيته لقالوا غير جيد، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))، [الترمذي] أنا يمكن لي خلال ساعة من الزمن أن أجلس معكم، وأقف في مواقف، وأظهر بمظاهر، وأتكلم في كلام تقولون عني أي أحسن إنسان في الدنيا، فلا يغيركم الأمر حتى تسألوا أهل بيتي، فيمكن أن تتصنع على الناس ساعة أو ساعتين أو ثلاثة، لكن أهل بيتك أنت تجالسهم دائماً فعلياً أن نسأل أهل بيتك من أهلك وأهلك وزوجتك وأولادك.

الأخت الكريمة يمكن أن تحضر في المسجد وتكون حافظة ومُحَفِّظة قرآن وكل الجالسين يقولون: إذا كان هناك ولية في الدنيا فهي فلانة لكن هذا لن يغرنا حتى نسأل زوجك وأولادك فإن قال زوجك: رضي الله عنها إن لها فضل علي، عندها تكونين ممتازة، أما إذا قال الزوج: أنا غير راض وأنا متألم منها، يعني أن هناك مشكلة، والله يقول: ﴿أَيُحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾.

اتصلت سيدة وتقول بأن ابنتها متزوجة منذ شهر ونصف وتريد الآن طلاق ابنتها قلت لها: بعد شهر ونصف تريدين الطلاق؟! قالت: نعم، لأنها الآن في البيت، وقد تشاجرت مع

زوجها، فقلت لها: لماذا؟ قالت: لأن حمائها تطلب منها أن تنظف الأواني وهي ما زالت عروس، وجاءهم ضيوف ولما أتوا طلبوا منها أن تنظف الأواني، هل أرسلت ابنتي خادمة لهم؟ قلت لها: نحن الآن في هذه الأزمة يدعوا أحدنا في الليل أن يجعل الله خدمة العباد على يديه فما المانع أن تخدمهم، وهناك أشخاص موظفين ووظيفتهم هي غسيل الأواني، وهل إذا أتت ابنتك إلى بيتك وهي عروس ألا تقوم بالغسيل؟ قالت: بلى، قلت: فكيف تتعاملين بهذه الطريقة؟

الحمد لله أن الله ألهمها أن تسأل لكن تخيلوا يا إخواننا أن امرأة تريد أن تؤذي صهرها وابنتها لأجل شيء لا قيمة له، ولو فعلت هذا الخطأ لتحاسبت عليه، لذلك هذا في مجال علاقتنا الأسرية، ونفس الشيء في موضوع البيع والشراء.

الآن هناك إخوة يحضرون في المساجد للعبادة عندهم ذمم ولا يعيدونها بحجة أن البلد في أزمة ولا أحد يدفع الديون، أنت من أين تأخذ تعاليمك من السوق أم من رب العالمين؟ أنت مرجعك من؟ فلان له دَيْنٌ عندك يجب أن تخرج المال وتعطيه إياه وإذا لم تعطه إياه فلا تتظاهر بالصيام والصلاة، صلاتك وصيامك وحضورك الدرس جيد، لكن والله لن يشفع لك في أكل حقوق الناس، يقول: يا أخي هناك أزمة فكيف لو اشتدت الأمور فهل من المعقول أن أفرط بالسيولة؟ طبعاً معقول وهذا عين العقل بأن تنضبط بالشرع داخل الأزمة ليحميك رب العالمين.

هناك قضايا كيدية موجودة في المحاكم بعضنا ممن يسمع أو يحضر أو يرفع دعاوى كيدية في المحاكم، والدعوى الكيدية: هي الدعوة الكاذبة، وهو يعرف بأنه كاذب فيها.

يا إخواننا الأزمة هذه فرصة لنا جميعاً أن نراجع أنفسنا لكي لا تكون نفسي الأمانة بالسوء تأخذني بهذا الاتجاه فتعال وأنت تحضر، وتسمع الدرس، وتراجع نفسك، وتحاسب نفسك، وتراقب نفسك، لئلا يكون لديك أخطاء، لا مشكلة بوجود الأخطاء فكلنا يخطئ وكلنا يقصر لكن إذا أخطأت أو أسأت فارجع إلى الطريق الصحيح.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين